من المساوىء في التربية

بقلم المعلم الانطاكي الشماس

اسبيرو جبور

من المساوئ في التربية في كلِّ العالم التمييز بين الأَطفال. قد يُميِّزون طِفلاً على طفلٍ أَو بنتاً على بنتٍ أَو صبيّاً على بنتٍ أَو بنتاً على صبيٍّ.

إِعترضَ أَمامي مرةً صبيٌّ على أَبيهِ الذي يُدلِّل البنت فقالَ : أنا الصبيُّ. في مفهومِ هذا الشرق الصبيُّ هو المفضَّل. إِلتقَينا بعد سنوات فأَخذَ يُقبِّلُني وقال: أنا اعترفُ بفضلكِ عليَّ. لأَنَّني نبَّهتُ والدَهُ الى الخطأ في أصولِ التربية.

من جهةٍ أُخرى، الأُصول الأُرثوذكسيِّة في التربيَة هي الشَركة لأَنَّنا جميعاً أعضاءٌ في جسدِ المسيح. الطفلُ هو عضوٌ في جسد المسيح. ليس تقليدُ الأُرثوذكسيِّة "فرديَّة" بل هي "شَركة". الفرديَّة مرضٌ روحيٌّ عُضال علينا أَن نتجنَّبَهُ. من المساوئ الحاليَّة في التربية هي الفرديَّة فينشأُ الفتى والفتاة فردِيَّين أَنانيَّين وهذا خطرٌ كبيرٌ.

يدَّعونَ اليوم أَنّ الحريَّة ضروريَّة هذا صحيح ولكن ضِمنَ الشَركِة. بيوتِ المؤمنين كما في رسائل بولس كانت كنائس ، والبيتُ هو الكنيسة الأُولى ويجب أَن نبقى محافظينَ على هذا التقليد أي ان تبقى بيوتُنا كنائسَ صغيرةً ننتمي اليها بقُوَّة.

بولس الرسول أَوصانا في رسالتِه الى الأَفسُسِيِّين أن نُطيعَ بعضُنا بعضاً. والطاعة ليست عبوديَّةً. نحن نُطيع بعضُنا بعضاً في الحقِّ ونُطاوع بعضُنا بعضاً في الحقِّ لا في الباطل. إن شَذَّ أحَدُنا نبَّهناه وعاتَبناه ووبَّخناه وشهَّرناه عند اللُّزوم. ولذلك علينا أَن نُحافظ على الشَركة في العائلة ولكن دونَ استبدالٍ للأَبَوَين. الأَبوان مُطالبان بمراعاة سِنِّ الأَولاد ليعامِلوهُم بِحسَبِ سِنِّهم وذلك برَحابةِ صَدرٍ كبيرة.

أمّا التدليل فهوَ الفَساد . يُخرِّبُ الأَولاد فينشؤونَ أَنانيّين فَرديّين متشبّثين برَغَباتِهم وإِراداتِهم الذاتيّة. التدليل يَبلي الناس بالحسَّاسيّة والحسَّاسية تزداد كثيراً في أَيّامِنا هذِه. الحُرصُ الأُرثوذكسي على البنت يؤَدِّي الى عنايةٍ زائدةٍ بها فتنشأُ حسَّاسةً لا تحتمل نكَباتِ الدّهر ببالٍ طويل وصبرٍ جميل. الحسَّاسِيّة مرضٌ عُضال. الحسَّاس إِنفعالي يُجرَحُ بسهولة ، لا يتحمّل الملاحظات ولا يتحمّل المراقبة ولا يتحمَّل التنبيه بسهولة. والحسَّاسيّة مرتبطة بشيءٍ من الأَنانيّة وبخاصة بالإِنفعاليّة. الحسَّاس ينفَعِل ، والبنات المدلَّلات والخاضعات لعِنايةٍ أَبويَّة في العائلة بالمحافظة عليها وعلى آدابِها وَخلاقِها وحُسنِ تربيتِها تَنشأُ حسّاسة جداً جداً. ليسَ المهم أَن تكونَ حسَّاسةً ، بل أَن تكونَ متينةَ الشخصيّة قادرةً على مجابهة ظروف التاريخ والزمان والحياة برُجولة ومَتانة وبطولة. من المعروف بأنّ البنت تتأثَّر بأُمِّها، والمثَل العامّي يقول: طِبّ الجرَّة على تمّها بتِطلَع البنت لأُمها. وهذا صحيح بنسبةٍ جيِّدة. ولكن في هذه الأَيام الدلال المفرِط أَدّى الى أَنّ البنت لم تَعُد صورةً صادقةً عن الأُم في كثيرٍ من الأَحيان. البنات اليوم يُقلِّدون الصبيان بنسبةٍ كبيرة وهذا خطأٌ كبير.

لا أُميّز بين الفتى والفتاة فالإِنجيل مفروضٌ على الإِثنَين . ولكن بطبيعةِ الحال من عوائدِ ا لأُرثوذكس المحافظة على الفتاة وهذا ليس بِعَيبٍ أبداً . أُطالبُ بالمحافظة على الفتى والفتاة . ولكنّ الفتاة تحتاجُ الى رعايةٍ خاصّة لأَنّ الناس يطعَنون في الفتيات بسهولةٍ أكثر وهُنّ مُعرَّضات كثيراً للنّقد لأَنّ أَلسنَة الناس، أَلسنة الأَفاعي والرجال لا يرحَمون النساء والفتيات. ومن تقاليدِ هذا الشرق التشدُّد ضدّ البنات والنساء. التطرُّف في التشدُّد مضِرٌّ ومُؤذٍ أَيضاً . فلا بُدَّ في كلِّ شيء من الإِعتدال ولا بدَّ من أَن يتعلّمَ الناس في كلِّ مكان أَن يكوُوا ألسنَتَهم بالرّوحِ القُدُس.

لا يجوزُ أَن نتهَّم أحداً إِلّا بعدَ التدقيق. في الحقوق، لا يجوز أَن نحكُم على أحَد إِلّا بعدَ المحاكمة وفَسح المجال لهُ بأَن يُدافِعَ عن نفسِهِ . لا يجوز أَن نحكُم على الناس بناءً على الوِشايات والإِفتراءات وسوءِ التأويل وسوءِ التفسير. هناكَ مرضٌ في الطبِّ العقلي إِسمَهُ جنونُ التأويل وجنون التأويل خطيرٌ جداً . يُؤوِّل الإِنسان على الطاير كما نقول في العامِّية . هذا مرضٌ عقيم ولا يجوزُ الحُكم إِلّا بناءً على

التدقيق. لا يجوز أَن نُصَدِّق الأَكاذيب والوِشايات والإِفتراءات وما يُقال و يجب أَن لا نسمع للنميمة والإِفتراءات والكَذِب والقدح والذمّ والطَعن من الظهر. يجب أَن نكونَ مُحتشمين في ألسنَتِنا وأَن نخاف الله في تقديراتِنا للأُمور فلا نطعَن في أعراضِ الناس بخفّة . هذا حرامٌ كبير وحِماية الأَعراض أمرٌ مُقدَّس. التشهير دونَ سبب خطرٌ كبير. هناكَ كهَنَة، هناكَ أَهل. يُمكِن الإِنسان عن طريقِ الكَهَنة أَن يُصلِح الأُمور وأَن يُنبِّه الكهَنَة الى بعض المخاطر.

يجب أَن تكون للكاهن دالّة على الشعب لكي يَعِظَهُ ويُنَبِّهَهُ ويُعلِّمَهُ ويُرشِدَهُ الى الأَعمال الصالحة . ولكن ويا للأسف ، العلاقةُ بين الكاهن والرعيّة ليست من هذا النوع الرفيع. يجب أَن يكونَ بين الكاهن والرعيّة دالّة كبير جداً يستطيع معَها الكاهن أَن يُوجِّه كلّ إِنسانٍ في الرعيّة ، وأَن تكونَ لهُ دالّة على الرجال والنساء والأَولاد والأَطفال وكلِّ الرعيّة. فَهوَ الأَب الروحي والأَب الروحي هو أَهمّ من الأَب الجسَدي في الكنيسة.

ولذلك فالمسؤوليةُ في التربيَة الأُرثوذكسيّة تقع على الأُمِّ أوّلاً والأَبِ ثانياً والإِخوةِ ثالثاً والأَهلِ رابعاً والمجتمعِ خامساً. أَمّا الكنيسةُ فهي تقِف في أَعلى الهرَم، فيكونُ الكاهنُ أَباً للأَبَوين وللأَولاد وللشعب كلُّه. فهوَ أَبو الولد وأَبو والِدَيه وأبو أَجدادِه وأَعمامِه وأَخوالِه وأَبو الكل. ولكن علينا أَن نُنشِئ كهَنةً مدرَّبينَ في العلوم النفسيّة والتربويّة والروحيّة ليُعالجوا الناس معالجةً طبيّة حقيقيّة.

الخطايا هي أَمراضٌ روحيّة. فَكَما هناكَ أَطبّاء عقليّون وأَطبّاء نفسيّون وأَطبّاء جسَديّون، هكذا يجب أَن يكونوا الكَهَنة أَطبّاءَ روحيّين مدرَّبين تدريباً حسَناً لا فوضويّين دونَ تدريبٍ حقيقيٍّ عميق. رِسامةُ الكاهن لا تصنَع منهُ طبيباً روحيّاً . الطبُّ الروحي يُشبِه التحليل النفسي بنسبةٍ كبيرةٍ جداً كما أَثبَتُّ ذلك في كتابي "الإِعتراف والتحليل النفسي". ولذلك الأَمرُ يحتاج الى تدريب . وأَينَ المدرِّبون؟ للأَسف الشديد عدَدُهم محدود وعندنا مفقود.

الأَولاد الصِغار هم أَمانةٌ إِلهيّة في رِقابِ الكَهَنة والآباء والأُمّهات والأَهل والمجتمع. متى كانت الكنيسة منتعشة روحيّاً يُصبِح المؤمنون كلُّهم عائلةً واحدةً. هذا هو طابعُ الكنيسة الأُرثوذكسيّة. المؤمنونَ

جميعاً كُتلة واحدة متضامنة متكاتفة. كبيرُهم يخدمُ صغيرَهم، وغنيُّهُم يعولُ فقيرَهم. التضامن بين المؤمنين شرطٌ أَساسيٌّ في الحياة المسيحيَّة. مَن لا يتضامن مع إِخوَتِهِ المؤمنين يخونُ نفسُه ويخونُ المسيح. لذلك لا أُرثوذكسيَّة ناجحة بدون العناية بالجنين والطفل. العِناية بالطفل تضمَن حُسنَ نجاحِهِ روحيّاً بنسبةٍ كبيرة جداً. العناية بالطفل تخلِّصُهُ من عيوبٍ كثير ة يَعثُرُ الخلاص مِنها في الكِبَر . يوحنّا السُلّمي يذكر أَنّ العادات القديمة السَّيئة تؤذي الإِنسان في الكِبَر . وإِن شاءَ التخلُّص منها فلا يتخلّص منها بسهولة لأَنّ العيوب المتأصلة لا يُمكن إِقتلاعُها بسهولة.

يحتاجُ الأَمر الى جهادٍ روحيّ كبيرٍ. فإِن تابَ إِنسانٌ في سنّ الثلاثين مَثلاً إِحتاجَ الى وقتٍ طويلٍ لكي يَقمعَ ذاتَهُ بنجاحٍ كبير . بينما الولدُ الذي نشأَ نشأةً صحيحةً في صِغَرِه وتمَلَّكَ نفسَهُ وسيطرَ على أهوائهِ، فهوَ ينمو روحيّاً بسهولةٍ أكثر. قد تكونُ توبةُ الثلاثين قويَّةٌ جداً جداً هذا صحيح ولكن تبقى العادات القديمة الفاسدة تُؤذيه ولَو في الحُلم . ومهما ضَبَطَها في اليَقظة فهيَ تبقى قابلة للعودة إليهِ في الحُلم. لا يتخلَّص منها إلّا بعدَ جهادٍ مريرٍ في اليقظةِ وفي الحُلم. قد ينتصر في اليَقظة ولكنّ هُ يحتاجُ الى جهادٍ طَوالَ سنوات ليتخلَّصَ منها في الحُلم.

أسألُ الله أَن يمنحَ نساءَنا ورجالَنا حِسّاً روحيّاً قويّاً مَكويّاً بالرُّوحِ القُدُس ليُرَبُّوا أَولادَهم تربيةً صالحة لمجدِ ربِّنا يسوعَ المسيح له المجدُ والإِكرام مع الآب والرُّوح القُدُس الى أَبدِ الآبدين ودهرِ الداهرين آمين.